

الجهاد في الإسلام بين سماحة منهجه وأتباعه وتشويه صورته من أعدائه

إعداد

الأستاذ الدكتور:

علي سيد عبد الحميد يوسف الشيمي

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق
وعميد كلية أصول الدين بجامعة الإنسانية بقدرح دار الأمان
بماليزيا

من ٧٩٩ إلى ٨٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدينوبعد

فإن نظام الجهاد في الإسلام يعد من أبرز أنظمته فهو ذروة سنام الإسلام، وفي التمسك به عز الأمة ورفعتها ، وفي التخلي عنه ذل الأمة وهوانها ، والجهاد في سبيل الله ليس الغرض منه الخراب والدمار وقتل الأبرياء من الناس كما هو شأن النظم غير الإسلامية ولكن لحماية الدين والأنفس والأوطان وإظهار قوة الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وباب الجهاد في الإسلام كبير ومتشعب الجوانب ، لا تكفيه صفحات ولكن يحتاج إلى مجلدات ، وبفضل الله تعالى فإن علماء الإسلام أعطوا لهذا النظام اهتماماً خاصاً فالمؤلفات والكتابات فيه تفوق الحصر.

ولقد أثار أعداء الإسلام قديماً وحديثاً الكثير من الشبهات حول مشروعية الجهاد في الإسلام ، ويدعون أن دين الإسلام قد انتشر بحد السيف ، وذلك من باب تشويه صورة الإسلام والحدق الدفين على المسلمين ، متجاهلين سماحة الإسلام ، وتاريخ الفتوحات الإسلامية المشرق في الدنيا كلها ، ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع (الجهاد في الإسلام منهجه وأتباعه وتشويه صورته من أعدائه).

ولذلك حاولت في هذا البحث التركيز على بعض الأمور الأساسية بأسلوب مبسط ومختصر يقتضيه ظروف الحال والمقام والإمام بالجوانب الرئيسية في الموضوع دون الإطناب الممل أو التقصير المخل ، ويشتمل هذا البحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول : مفهوم الجهاد في الإسلام وأنواعه.

المطلب الثاني : فضل الجهاد في سبيل الله وحكمه ، وحكمة مشروعيته.

المطلب الثالث : القواعد والضوابط التي وضعها الإسلام في نظام الجهاد.

المطلب الرابع : الجزية والغنائم.

المطلب الخامس : مقومات النصر في الجهاد الإسلامي. ثم خاتمة.

وأدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل ابتغاء مرضاته فإن كنت أصبت فهو

محض فضل من الله تعالى ، وإن كنت أخطأت فمن نفسي ، وأدعو الله عز وجل أن

يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، إنه نعم المولى وتعم المجيب.

أ.د/ علي سيد عبد الحميد

المطلب الأول

أولاً : مفهوم الجهاد في الإسلام وأنواعه

جاء في القاموس القويم للقرآن الكريم ^١ جهد في الأمر : جد فيه وبالع قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ^٢ أي مبالغين في القسم ليصدقهم المؤمنون - وجهد جهداً : طلب ما يريد حتى وصل إلى الغاية. والجهْدُ : الغاية أو الوصول إليها ، وجهد أتعب نفسه وجد غاية الجد.

والجَهْدُ - بضم الجيم - : الوسع ، والطاقة ونهاية القدرة ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ ^٣ أي وسعهم وطاقتهم.

وجاهد : قاتل أو بذل وسعه ، قال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ^٤. وهكذا فمفهوم الكلمة في اللغة يدور حول معنى الجد في الأمر والمبالغة فيه والتعب والمشقة وبذل الوسع والطاقة حتى الوصول إلى الغاية التي يريجوها وكل هذه المعاني تحملها كلمة (الجهاد).

ثانياً : مفهوم الجهاد في الاصطلاح الإسلامي :

الجهاد في الاصطلاح الإسلامي يعني حمل النفس البشرية على بذل الوسع الطاقة بشتى أنواع الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى والدفاع عن الدين والأوطان والأنفس والأموال والأعراض حتى يفوز الإنسان بسعادة الدارين.

(١) انظر القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ / إبراهيم أحمد عبد الفتاح ، ج ١ ص ١٢٣ - ط ١٤٠٤ - ١٩٨٣م - مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) سورة فاطر الآية : ٤٢

(٣) سورة التوبة الآية : ٧٩

(٤) سورة الحج الآية : ٧٨

هذا ومصطلح الجهاد في الإسلام شامل يندرج تحته أمور عدة. كالرباط والحرب والقتال والتقاء الفريقين والسلام والغنيمة والفيء والأسرى وكذلك أنواع الجهاد كالجهاد بالنفس والمال والقول والعمل والقلم ... الخ ، وكل ذلك ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهذا ما سنتناوله في ثانياً هذا الفصل بإذن الله تعالى.

ثالثاً : أنواع الجهاد في الإسلام.

مفهوم الجهاد في الإسلام واسع جداً يندرج تحته الكثير من أنواع الجهاد وأبرز هذه الأنواع ما يلي ^١ :

١ - جهاد النفس : وهو يعني إلزام النفس إلزاماً تاماً بفعل الأوامر التي أمر الله تعالى بها والانتهاز عما نهى الله عنه بوسع الطاقة البشرية مع مراعاة ضرورة الإخلاص لله تعالى في كل ذلك ، وترويض النفس على ذلك ترويضاً شاقاً حتى يسلس قيادها فتكون طاعة المسلم لله ورسوله وحيه لهما أشد من حبه لنفسه وماله وولده والناس أجمعين فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه وجد حلوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليهما ما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » ^٢ ، ونستطيع أن نقول أن جهاد النفس ينحصر في أمرين أساسيين :

(أ) الجهاد في طاعة الله بمعنى إلزام النفس البشرية بجميع ما أمر الله تعالى به وعلى رأس ذلك الفرائض الأساسية كالصلاة والزكاة والصوم والحج والدعوة إلى الله تعالى وبر الوالدين الخ ، فقد قدم رسول الله ﷺ بر الوالدين على الجهاد في

(١) ينظر منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص ٤٤١ ، ٤٤٢.

(٢) مختصر صحيح البخاري - المسمى التجريد الصريح - المشهور بمختصر الزبيدي - ضبطه ورقمه د/ مصطفى ديب البغا - كتاب الإيمان ص ١٢ برقم ١٦ - الإمامة للطبع والنشر والتوزيع - ط ٧ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

سبيل الله تعالى ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي ﷺ : أجاهد؟ قال : ألك أبوان ؟ قال نعم : ، قال ففيهما فجاهد ^١.

(ب) جهاد النفس في البعد عن معاصي الله تعالى وعما حرمه الله عز وجل فيمنعها عن الملهيات والشهوات المحرمة وعن التعدي على حدود ما حرمه الله تعالى وبهذا يفوز الإنسان بالسعادة في الدارين.

وجهاد النفس هو أعظم أنواع الجهاد فإنه لا يستطيع الإنسان أن يجاهد في سبيل الله تعالى إلا إذا انتصر على نفسه وهواه ، فالنفس البشرية أمارة بالسوء ، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^٢.

فالمسلم قد يريد الجهاد في سبيل الله ولكن نفسه وهواه تحول بينه وبين ما يريد ، فيجب على المسلم أن يحذر نفسه ويحاول الانتصار عليها فإذا فعل ذلك كان على غيرها أقدر وإن عجز على الانتصار عليها كان على غيرها أعجز والنفس إن لم تشغلها بطاعة الله شغلتنا بمعصيته ، فنعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

٢- جهاد الشيطان :

وأيضاً من أنواع الجهاد جهاد الشيطان ويكون ذلك بترك وساوسه والحذر من إتباع خطواته ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ^٣

(١) صحيح البخاري - فتح الباري - كتاب الأدب وجهاد النفس - باب ما لا يجاهد إلا بإذن الأبوين

(٢) سورة يوسف الآية : ٥٣

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٠٨

وعلى المسلم أن يكثر من الاستعاذة من الشيطان وأعوانه وجنوده ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١ وقال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^٢.

فالشيطان يقعد للإنسان في كل طرق الخير ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنْتِنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^٣ فإذا أراد المسلم للخروج للجهاد في سبيل الله والدعوة إليه وسوس إليه الشيطان كيف يخرج ويترك زخارف الدنيا من المال والزوجة والأولاد ... الخ ، وهنا يحتاج الأمر إلى مجاهدة شديدة حتى يستطيع التغلب على وساوس الشيطان وإبطال حيله ومكائده.

٣- جهاد الظالمين والفاسقين وأهل البدع والمنكرات وجميع الناس وهذا يكون باليد أو باللسان أو بالقلب عملاً بقول رسول الله ﷺ : «من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وكذلك قول الرسول ﷺ : «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وهذا النوع من الجهاد يقدر بقدره بحيث يكون تغيير المنكر لا يؤدي إلى منكر أشد منه ، وأنه يجب أن تراعى جيداً هذه المراتب متى يكون التغيير باليد ومتى يكون باللسان وكذلك بالقلب فإنه إذا استطاع الإنسان التغيير باليد من سلطة السلطان أو من يقوم مقامه ، فإذا لم يستطع الإنسان التغيير باليد أو باللسان فتأتي المرحلة الأخيرة وهي التغيير بالقلب.

وعلى كل فالإنسان يجاهد قدر استطاعته بحيث لا يؤدي إلى فتنة وضرر كبير وهذا يحتاج إلى فقه جيد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) سورة فصلت الآية : ٣٦

(٢) سورة المؤمنون الآيتان : ٩٧ ، ٩٨

(٣) سورة الأعراف الآيتان : ١٦ ، ١٧

فالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ومخالطة الناس والصبر على إيذائهم كل ذلك من أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى ، قال تعالى : «اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»^١

٤- الجهاد في سبيل الله بمعنى حمل السلاح للدفاع عن دين الله عز وجل وتأمين طرق الدعوة الإسلامية وهذا ما أعرض له بشيء من التفصيل في المطالب التالية.

وانتقل للحديث عن المطلب الثاني.

المطلب الثاني

فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وحكمه ، وحكمة مشروعيته .

أولاً : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى :

لقد استفاض القرآن الكريم ومذلك الأحاديث النبوية في الحديث عن فضل الجهاد ويتضح ذلك في النقاط الآتية :

أنه من أفضل الأعمال ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : «أي الأعمال أفضل؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا؟ قال : حج مبرور»^١ .

وعن سهل بن سهل الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «رباك يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»^٢

٢- أن الشهداء في سبيل الله أحياء عند ربهم ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣

وعن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال : إنا

(١) مختصر صحيح البخاري - كتاب الإيمان ص ١٥ برقم ٢٥

(٢) المرجع السابق - كتاب الجهاد - ص ٣٩٧ برقم ١١٩١ .

الرباط في سبيل الله : هو استعداد الجندي المسلم استعداداً تاماً للنزول إلى ميدان الجهاد في أي لحظة كانت.

الروحة : السير أول النهار .

الغدوة : السير آخر النهار .

(٣) سورة ألا عمران الآيات : ١٦٩ - ١٧١ .

قد سألنا عن ذلك؟ فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم إطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : أي شيء تشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»^١

٣- بل إن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل في سبيل الله عشر مرات لما يرى من كرامة الشهادة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»^٢.

والشهاد يكون خروج الروح عليه سهلاً بإذن الله تعالى فيكفيه ثباته أمام بارقات السيوف والمدافع ... الخ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة»^٣

٤- المجاهد في سبيل الله تعالى في عبادة دائمة لله عز وجل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة»^٤

(١) مختصر صحيح مسلم - تحقيق محمد ناصر الألباني - كتاب الجهاد - باب في قوله : ﴿ولا

تُحْسِنُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا﴾ ص ٢٨٥ برقم ١٠٦٨ - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه البخاري في باب الجهاد - باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا - فتح الباري ج ١١ ص ٢٩٦.

(٣) سنن الترمذي

(٤) مختصر صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب فضل الجهاد ص ٣٨٥ رقم ١١٤٨.

٥- وأخيراً يكفي في فضل الجهاد أنه تجارة مع الله تعالى لن تبور ففيها النجاة من عذاب الله وغفران الذنوب والفوز بالنصر والشهادة في سبيله ودخول الجنة ففي الجهاد سعادة الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^١.

وهكذا فالجهاد في سبيل الله تعالى أجره عظيم جداً ففيه الدفاع عن الدين والوطن ويتخذ الله من المؤمنين شهداء ، والشهيد يخیره الله من حور العين ما شاء ويشفع في سبعين من أهله ويبعث يوم القيامة اللون لون الدم والريح ويح المسك ويؤمن من فتنة القبر ويحشر مع النبيين والصديقين الخ ، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالشهادة في سبيله.

هذا عن فضل الجهاد في سبيل الله ، وانتقل للحديث عن حكم الجهاد وحكمة مشروعيته.

حكم الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله تعالى فرض كفاية للدفاع عن دين الله تعالى ونشر الدعوة وتأمين طريقها وصد عدوان المعتدين إذا قام بذلك البعض سقط الحرج عن الباقيين ، ويكون الجهاد فرض عين على القادر المستطيع في الحالات الآتية :

- ١- إذا حضر المسلم صف القتال.
- ٢- إذا استنفر الإمام الناس استنفاراً عاماً للخروج إلى الجهاد.
- ٣- إذا حاصر الأعداء أو دخلوا بلاد المسلمين.
- ٤- إذا احتيج إلى المسلم بذاته نظراً لتخصصه الدقيق كأن يكون طبيباً أو طياراً أو خبيراً بشئون الحرب والقتال ونحو ذلك ^١. وقد أمر الله تعالى بالنفرة والخروج إلى الجهاد في سبيله تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^٢. والجهاد في سبيل الله تعالى تارة يكون واجباً بالنفس والمال في حال القادر مالياً وبدنياً ، وتارة يكون واجباً بالنفس دون المال في حال من لا مال له ، وتارة يكون واجباً بالمال دون النفس في حال من لا يقدر على الجهاد ببذنه ^٣. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » ^٤.

رفع الحرج عن أصحاب الأعذار :

ومن رحمة الله تبارك وتعالى في تشريع الجهاد أنه سبحانه رفع الحرج عن أصحاب الأعذار ومن ليس لهم قدرة على الجهاد كالمريض والأعمى والأعرج

(١) ينظر مختصر الفقه الإسلامي - للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري - ص ٩٦٢ - الناشر :

بيت الأفكار الدولية - الرياض - الطبعة الرابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٢) التوبة آية : ٤١.

(٣) مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٦٢ - ٩٦٣

(٤) أخرجه أبو داود برقم ٢٥٠٤ ، ٢١٨٦.

والضعفاء من الشيوخ والنساء والأطفال. قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفورٌ رحيم ﴾^١. فمثل هؤلاء رفع الله الحرج عنهم ويبقى واجب الدعوة عليهم كل على حسب استطاعته ، وكذلك رفع الله الحرج عن صنف من الناس كانوا في زمن الرسول ﷺ يريدون الخروج إلى الجهاد وليس معهم عدة القتال ونفقاته والرسول ﷺ لا يجد لهم ما يركبونه من الخيل والدواب إلى ميدان الغزو والقتال فرجع هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم إلى بيوتهم وهم يكون فرجع الله تعالى عنهم الحرج. قال تعالى : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾^٢

وخلاصة القول أنه يبقى حكم القتال في سبيل الله تعالى فرض عين على القادر المستطيع وفي حالات معينة فمن استطاع بنفسه وماله فيها ونعمت ومن لم يستطع إلا بنفسه جاهد بنفسه إذا تهيأت الأسباب لذلك ومن لم يستطع إلا بماله جاهد بماله ومن لم يستطع إلا بلسانه جاهد بلسانه كل على حسب استطاعته والأمور تقدر بقدرها على حسب الواقع والظروف والأحوال وعماد ذلك إخلاص النية لله تعالى.

أما مشاركة النساء للرجال فهي استثناء من القاعدة الكلية وهي رفع الحرج عنهن ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال : «جهادكن الحج»^٣. ولا يكون ذلك إلا في حالات خاصة تستدعي ذلك وفي أعمال تليق بهم كمداداة الجرحى وخلافه .

وكل هذا يدل على عظمة التشريع في نظام الجهاد في الإسلام ذلك لأنه من عند الله تعالى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.

(١) سورة التوبة آية : ٩١

(٢) سورة التوبة آية : ٩٢

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد - باب : جهاد النساء - فتح الباري ج ١٢ ص ٢٩.

ثانياً : الحكمة من مشروعية الجهاد في الإسلام :

تثار الكثير من الشبهات حول مشروعية الجهاد في الإسلام فيدعى أعداء الحق أن الإسلام دين انتشر بحد السيف وأنه يجبر الناس على الدخول فيه فهو دين الإرهاب بلغة العصر الحديث إلى غير ذلك من الأقوال والشبهات الكثيرة حول هذا الأمر وفي هذه النقطة نتحدث أولاً عن حكمة مشروعية الجهاد في الإسلام والتي تتجلى في الأمور الآتية :

١ - الدفاع عن دين الله تعالى وحماية الأوطان والأنفس والأموال والأعراض فكل هذه الأمور لا بد لها من قوة تحميها وتدافع عنها وإلا أصبحت عرضة لعبث العابثين وطمع المعتدين والباغين من أعداء الإسلام ولذلك أمر الله تعالى بإعداد العدة والسلاح وتجهيز الجيوش والرباط في سبيل الله تعالى لإرهاب أعداء الله تعالى الذين يودون النيل من دين الله تعالى ومن المسلمين وينهبون خيرات البلاد ويعتدون على حرمت الله تعالى. قال جل شأنه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

وشتان بين من يحمل السلاح ليدافع به عن دينه ووطنه وبين من يحمله ليقتل به الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ظلماً وعدواناً كما يحدث على مرأى ومسمع من أعداء المسلمين في كل مكان في العراق وفلسطين وأفغانستان ... الخ ، على يدي الأمريكان وإسرائيل.

٢ - تأمين طرق الدعوة الإسلامية وإزالة العقبات وكسر أنظمة الشرك والطواغيت التي تقف حجر عثرة في طريق نشر دين الله تعالى وتبليغه إلى عموم الناس انطلاقاً من عالمية الدعوة الإسلامية حتى تقام الحجة على الناس جميعاً وتكون السيادة للأمة الإسلامية ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

فرعوس الشرك والطواغيت هم الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون وصول نور الإسلام إلى شعوبهم فهم أشبه بالسدود والجبال والحواجز التي تحول بين وصول الماء العذب إلى أرض خصبة صالحة للزراعة وهذه الأرض في أشد الحاجة إلى هذا الماء لأن عليه حياتها فهل يترك الوضع هكذا؟ أم تزال تلك السدود والحواجز من طريق الماء العذب حتى يروي الأرض؟ فالماء هو الإسلام والأرض الخصبة المحرومة منه هم عوام الشعوب من الكفار والمشركين ، وهذه السدود والحواجز هم رعووس الشرك من الكفرة والطواغيت فلا بد من دعوة هؤلاء الطواغيت وشعوبهم إلى الإسلام فإن أبوا فعليهم الجزية فإن أبوا فلا بد من قتالهم حتى يذعنوا للإسلام وتكون كلمة الله هي العليا ويعترفوا بأن الإسلام هو الدين الحق وأن له السيادة والهيمنة دون إكراههم على الدخول فيه وهذا لا يفهم من قول رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » بمعنى أن يعيشوا تحت سلطان الإسلام محكومين لا حاكمين ولكن لهم حرية العقيدة وممارسة شعائرتهم داخل أماكن عبادتهم وكذلك حرية التملك ويعيشون آمنين على أنفسهم وأولادهم وأموالهم في ديار الإسلام لا يكرههم الإسلام على الدخول فيه « لا إكراه في الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »^١ ونلاحظ أن الرسول ﷺ قال : (أقاتل) ولم يقل (أقاتل) بمعنى أجاهد الناس وأدعوهم إلى الإسلام لأن الله تعالى أمره بذلك فإن أبوا فالجزية فإن أبوا فلا بد من منازلتهم في ساحة الجهاد حتى يفصل الله بين الفريقين وكما يلاحظ أيضاً في قول رسول الله ﷺ كلمة (أمرت) والامر له هو الله سبحانه وتعالى.

وهناك آداب وقواعد للجهاد في الإسلام سأعرضها فيما بعد بإذن الله تعالى ، فجميع الرسل ضحوا من أجل كلمة التوحيد وليس رسول الله ﷺ هو وحده الذي دافع

(١) مختصر صحيح البخاري - كتاب الإيمان ص ١٤ برقم ٢٤.

(٢) سور البقرة آية : ٢٥٦

وقاتل عن كلمة التوحيد بل جميع الأنبياء من قبله جاهدوا في سبيل الله إما بالقول أو العمل وقدموا أرواحهم فداء لنصرة دين الله تعالى وتحملوا الأذى في سبيل دعوته وصبروا على ذلك كنوح عليه السلام وإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وجميع الأنبياء حملوا راية الإسلام وجاهدوا من أجلها وبذلوا أغلى ما يملكون في سبيلها لأنهم مأمورون من الله تعالى بذلك.

٣- دفع الأذى والفتنة عن المؤمنين والتصدي لأي عدو يريد النيل من المسلمين ولا يكون ذلك إلا بإعداد العدة وصد هجمات المشركين وكسر شوكتهم.
قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾^١

٤- إقامة نظام الإسلام في الأرض ، والتمكين لدين الله تعالى ، ولتكون السيادة وأستاذية العالم للمسلمين فيكون الإسلام هو المرجع الأول الذي يرجع إليه العالم في كل مكان ليحل خلافات البشرية وتننازعاتها على ضوء المنهج الرباني الفريد وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتكون الأمة الإسلامية هي الأمة الحاكمة والعادلة بين أمم العرب جميعاً والشهادة عليهم وينتشر الإسلام ويعم في أنحاء الأرض وتسعد البشرية جميعاً بنوره وتعاليمه ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^٢

ولكي يتحقق كل هذا لا بد للحق من قوة تحميه وتدافع عنه وتؤمن استقراره حتى لا يطمع الطامعون ويهاهبه الناس ويذعنوا بسلطانه وهذا ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

(١) سورة الأنفال الآيةان : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٣

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿١﴾ وكلمة (قوة) نكرة وهي تفيد العموم لتشمل كل ما يستطيعه المسلمون من قوة في الإيمان والعلم والاقتصاد والترابط والأخوة بين أفراد المجتمع وقوة في المخترعات والتكنولوجيا والقوة في الساعد والسلاح وأحدث علوم العصر بصفة عامة ليظهر مدى قوة الإسلام مع الاحتفاظ بالثوابت الأصلية في الإسلام وعدم الخروج على مبادئ الشرع الحنيف.

المطلب الثالث

القواعد والضوابط التي وضعها الإسلام في نظام الجهاد.

وحتى يتحقق الهدف الأسمى من مشروعية الجهاد في الإسلام وهو إعلاء كلمة الله تعالى فقد وضع الإسلام الكثير من الآداب والضوابط والتي توضح في مضمونها أن الإسلام من أسهل الطرق وليس الإجبار على اعتناق الإسلام كما يدعي أعداء الإسلام أو تقتيل الناس وإزهاق أرواحهم سدى ويتجلى ذلك في الأمور الآتية :

أولاً : نهى الإسلام عن الاعتداء على الناس ظلماً وعدواناً بغير حق بين القرآن الكريم أن المعتدين لا يحبهم الله تعالى. قال عز شأنه : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^١

ثانياً : أن مرحلة القتال يسبقها مرحلتين : الأولى الدعوة إلى الدخول في الإسلام ، والثانية فرض الجزية عليهم وهي عبارة عن ضريبة يدفعونها في مقابل الدفاع عنهم وتأمينهم والحفاظ على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ... الخ ، فإن أبوا الدخول في الإسلام أو قبول الجزية فتأتي المرحلة الثالثة وهي الإكراه بالقتال وإمهالهم ثلاثة أيام لإعطائهم الفرصة في تقرير مصيرهم ، فإن لم يرضوا إلا القتال يأمر الإسلام حينئذ بالقتال ،. وفي نفس الوقت ينهى الإسلام عن الغدر والمثلة بالأعداء.

فقد أخرج الإمام الترمذي عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على جيش أو صاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً وقال اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ولا تغفلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال أيها أجاوبك فاقبل منهم وكف عنهم وادعهم إلى الإسلام والتحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم إن فعلوا ذلك فإن لهم مال

المهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، وإن أبوا أن يتحولوا فأخبره أن يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم ما يجري على الأعراب ، ليس لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقتلهم.

ثالثاً : نهى الإسلام كذلك عن قتل النساء والصبيان ، فقد أخرج الترمذي عن نافع عن ابن عمر أخبره أن امرأة وجدت في إحدى مغازي رسول الله ﷺ فأنكر رسول الله ﷺ ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان^١

رابعاً نهى الإسلام عن حرق الأعداء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : إن وجدتم فلاناً وفلاناً لرجلين من قريش فأحرقهما بالنار ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج : إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما^٢

خامساً : ومع كل ذلك فقد أقر الإسلام مبدأ السلام ودعا إليه قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٣.

وقال تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٤.

وقد اشترط بعض العلماء لقبول الصلح عدة شروط أهمها ما يلي :

١- أن يكون الداعي إليه هم الأعداء لا المسلمون.

(١) سنن الترمذي ج ٤ - كتاب السير - باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان ص

١٣٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٢) المرجع السابق ج ٤ - كتاب السير - باب رقم ٢٠ ص ١٣٧ رقم ١٥٧١ وقال الترمذي حسن

صحيح.

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٠٨

(٤) سورة الأنفال الآية : ٦١

٢- أن يكون هذا الصلح أنسب للموضع العسكري الإسلامي لإعادة بناء الجيش وتقويته.

٣- أن يكون الصلح لمدة محدودة قررها بعض العلماء ألا تكون أكثر من عشر سنين إقتداء برسول الله ﷺ في صلح الحديبية ، ومعلوم أن المشركين هم الذين نقضوا العهد قبل انتهاء المدة^١.

ولكن يجب أن ينتبه المسلمون لقضية السلام وأنه لا يعوق الهدف الأسمى للجهاد الإسلامي وهو الدفاع عن دين الله تعالى ونشر دعوته وإعلاء كلمته وأنه يجب على المسلمين ألا يهنوا ولا يضعفوا وليتقوا دائماً بإيمانهم وعلاقتهم بالله تعالى ، ولا يكون الدعوة إلى السلام من الأعداء خدعة حتى يلتقطون أنفاسهم ويرتبوا أمورهم ويعيدوا الكرة على المؤمنين.

فمسألة الصلح والسلام تقدر بقدرها على حسب الظروف والأحوال الواقعية للمسلمين ولكن يجب ألا يهنوا ولا يضعفوا. قال تعالى : ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْمَأْعَلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾^٢

سادساً : لم تكن هذه التعاليم نظرية فحسب بل طبقها المسلمون على أرض الواقع في كل زمان ومكان ، فنجد رسول الله ﷺ في فتح مكة دانت له قريش بأجمعها فقال : «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء»^٣.

فعلى الرغم من العداوة الشديدة التي عادت لها قريش لرسول الله ﷺ ولدعوته وأصحابه فإنه صلوات الله وسلامه عليه عفا عنهم فأصفح حتى بعض من أهدر

(١) المفهوم الإسلامي للحرب والسلام - تفسير تحليلي لسورة الأنفال - د/ محمد السيد جبريل ص

٤٧ - ٤٨ - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٢) سورة محمد الآية : ٣٥

(٣) انظر الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ - دار النشر والتوزيع الإسلامية طبعة

١٤١٧ - ١٩٩٦م.

دمائهم وأمر بقتلهم ولو كانوا مغلقين بأستار الكعبة مثل عكرمة بن أبي جهل ، وقد دخل رسول الله ﷺ متواضعاً قد طأطأ رأسه على راحلته ولما تأكد رسول الله ﷺ أن شوكة الكفر قد انكسرت واستسلم أبو سفيان قائد جيوش المشركين ودخل في الإسلام ، نادى ﷺ في الناس : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن»^١.

وهكذا فقد أعطى رسول الله ﷺ للناس الأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وترك لهم حرية اعتناق الإسلام لم يكره أحد على الدخول في الإسلام فقد الحق على الباطل وبدد النور دياجير الظلام وسطعت شمس الإسلام وعلت فوق سماء مكة «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»^٢ ، فلم يوجد هناك مبرر لإكراه الناس على الدخول في الإسلام ما دانت رعوس الكفر والطواغيت قد كسرت وخضعت ودانت لحكم الإسلام وأصبح الإسلام حاكماً لا محكوماً وهذا ما يفهم من قول الله تعالى : «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»^٣.

ونماذج من تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك المسلمين من بعدهم نظم ومبادئ الجهاد في سبيل الله وكانت معاملتهم مع أهل البلاد التي فتحوها ضرب بها المثل في الصدق والوفاء والحفاظ على الأرواح والأموال ... الخ ، فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح مصر وعقد الصلح مع المصريين أعطاهم الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم^٤.

ولقد اعترف النصراني أنفسهم بمثل هذه المعاملات فإنه لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن بقيادة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وعسكر بجنوده ،

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٦٥ ، ٣٦٦

(٢) سورة الإسراء الآية : ٨١

(٣) سورة الأنفال الآية : ٣٩

(٤) انظر التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية للشيخ محمد الغزالي ص ١٩٦ ، ١٩٧ دار

النشر والتوزيع الإسلامية - الطبعة الأولى.

كتب إليه الأهالي المسيحيون في هذه البلاد فقالوا : «يا معشر المسلمين ، أنتم أجب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا ، وأكف على ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا»^١.

صلاح الدين الأيوبي نموذجاً فريداً في تطبيق نظم الجهاد مع أعدائه :

وهذا القائد صلاح الدين الأيوبي عندما فتح بيت المقدس وتمكن من رءوس الأعداء ودانوا له أطلق سراح الكثير من الأسرى وكان يعاملهم معاملة طيبة في حين أن الغلبة عندما كانت للصليبيين أذاقوا المسلمين سوء العذاب وكانت الطرقات تنان من دماء وضحايا المسلمين من كثرتها.

وقد اعترف بعض الكتاب المستشرقين بذلك ، فهذا ول ديورانت يقول في كتابه (قصة الحضارة) : «فقد كان صلاح الدين مستمسكاً بدينه إلى أبعد حد ، وأجاز لنفسه أن يقسو أشد القسوة على فرسان المعبد ولكنه كان في العادة شقيقاً على الضعفاء ، رحيماً بالمغلوبين يسمو على أعدائه في وفائه بوعده سمواً جعل المؤرخين المسيحيين يعجبون كيف يخلق الدين الإسلامي - الخاطئ في ظنهم - رجلاً في العظمة يصل إلى هذا الحد.

وكان يعامل خدمه أرق معاملة ويستمتع بنفسه إلى مطالب الشعب جميعها ، وكانت قيمة المال عنده لا تزيد على قيمة التراب ولم يترك في خزانته بعد موته إلا ديناراً واحداً^٢.

هذا على لسانهم أفلا يكفي هذا رداً عليهم وعلى أمثالهم الذين يتهمون الإسلام بأنه دين إرهابي انتشر بحد السيف وكان يكره الناس على الدخول فيه...

(١) انظر التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية للشيخ محمد الغزالي ص ١٩٦ : ١٩٧ دار النشر والتوزيع الإسلامية - الطبعة الأولى.

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت - ج ١٥ ص ٤٤ ، ٤٥ ترجمة محمد بدران - الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطابع سجل العرب

لقد (كان المسلمون في كل بلد فتحوه يحافظون على عقائد المخالفين له ويضعونها تحت حماية الدولة المسلمة وحراستها ، ويأبون أن يحتالوا على الناس ليتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام لأن الله في منهجه الرباني علمهم هذه الأخلاق) ^١ وقد طبق هذه التعاليم أيضاً السلطان محمد الفاتح عندما رفع راية الجهاد لفتح القسطنطينية.

هذه فطرة من يم من نماذج الجهاد الإسلامي وقد كان المسلمون على مر عصور التاريخ حريصين كل الحرص على تطبيق هذه القواعد والمبادئ لنظام الجهاد الإسلامي وكانوا غاية في الحلم والعفو والصفح والتسامح مع أهل البلاد التي فتحوها لا يكرهون أحداً على الدخول في الإسلام بل الكثير من أفواج الناس دخلوا في الإسلام بسبب معاملة المسلمين لهم المعاملة الحسنة وعاش الكثير من أصحاب الملل الأخرى في ظل دولة الإسلام حياة آمنة على دينهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

كذلك كانت الفتوحات الإسلامية مبعث نهضة الأمم ومصدر حضارة الشعوب في البلاد المفتوحة وغيرها ، فنشروا العلم والفضائل وحققوا العدل بين الناس وأشاعوا الحرية في المجتمعات بأوسع معانيها ، وبسلوكهم الديني والأخلاقي والثقافي وبأمرهم الناس بفعل المعروف ونهيههم عن ارتكاب المنكر صاروا رواداً للبشر وأمثلة حية للفضائل تتحرك على أرض الله مما جعل أغلب أبناء البلاد المفتوحة يقتدون بالفاتحين في سلوكهم ونقل حضارتهم بل والدخول باختيارهم في دين الله أفواجا ^٢.

إباحة طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم :

وحتى يظل باب الإسلام مفتوحاً أباح الإسلام للمسلمين طعام أهل الكتاب وأباح لأهل الكتاب طعام المسلمين كما أباح للمسلم الزواج من الكتابية دون العكس وذلك

(١) جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب ص ١٦١ - الشروق.

(٢) حاجة العالم إلى النظم الإسلامية - أ.د/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل ص ١٢٣ الطبعة الأولى

لتقوي أواصر المودة بين المسلم والذمي لعل الله يهدي قلبه للإسلام. قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^١.

إن مشروعية الجهاد في الإسلام لم يكن سيفاً مسلطاً على رقاب البشر للدخول في الإسلام ولكن لرفع راية الإسلام والدفاع عن الحق وتأمين سبل الدعوة الإسلامية وإزالة العقبات من طريقها وكسر شوكة الباطل ليصل نور الإسلام إلى عوام الناس لتظل الحجة قائمة عليهم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^٢. فهل بعد كل هذا يقال أن الإسلام دين الإرهاب الذي انتشر بحد السيف !!!

(١) سورة المائدة الآية : ٥

(٢) سورة الأنفال الآية : ٤٢

المطلب الرابع

أحكام الجزية والغنائم وما يتعلق بها

أولاً: مفهوم الجزية :

وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية على أهل الكتاب فهي مقابل الدفاع عنهم ، فإذا اشترك الذمي مع المسلم في الدفاع عن الوطن تسقط عنه كما فعلها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإذا عجز المسلمون في حماية أهل الذمة والدفاع عنهم في ديار الإسلام سقطت عنهم الجزية.

فعقد الذمة هو إقرار الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة ويعقده الإمام أو من يقوم مقامه.

الجزية تقدر على حسب الظروف والأحوال :

وتقدر الجزية حسب اليسر والعسر ولا جزية على صبي ولا امرأة ولا عبد ولا فقير ولا مجنون ولا أعمى ولا راهب في معبده.

فإذا أدى أهل الذمة الجزية للمسلمين وجب قبولها وحرّم قتالهم ، وإن أسلم منهم أحد سقطت عنه تجوز عيادتهم وتعزيتهم والإحسان إليهم تأليفاً لقلوبهم وطمعاً في إسلامهم^١. قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^٢

تطبيق حدود الإسلام على أهل الذمة

ويجب على الإمام تطبيق حدود الإسلام على أهل الذمة فيما يعتقدون تحريمه كالقتل والسرقة والزنا لا فيما يعتقدون حله كالخمر والخنزير بشرط ألا يظهروه ولا يؤدي إلى مفسدة وانتشاره في المجتمع ، ولا يظهر عقيدته ولا يفشيها بين الناس ،

(١) ينظر مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٧٦.

(٢) سورة الممتحنة الآية : ٨

ولا يسيء إلى الإسلام ولا إلى القرآن ولا إلى الرسول ﷺ فإذا فعل ذلك عوقب بما يراه الإمام.

ولا يجوز لأهل الذمة بناء الكنائس والمعابد في ديار الإسلام التي فتحت عنوة فإذا بنيت هدمت ، ولا يجوز إظهار شعائرهم كالنفاقوس ونحوه.^١

حكمة مشروعية الجزية :

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^٢.

فالحكمة من مشروعية الجزية هي رمز للخضوع والإذعان ، رمز لقبول غير المسلم بالعيش في ظل دولة الإسلام وهي تعبير عن مبدأ التعاون بين الذميين والدولة الإسلامية ممثلة في خليفة المسلمين أو من يقوم مقامه بحيث لا يكون خروج على الطاعة ، ولا تمرد على نظام الإسلام بل الرضى بكل تشريعاته وأحكامه.

وإذا كان المسلم يدفع زكاة ماله كل عام فإن الذمي المعاهد (اليهودي أو النصراني) لا يكلف بدفع الزكاة وإنما يكلف بدفع الجزية وهي مبلغ يسير زهيد لا يزيد عن ثمانية وأربعين درهماً^٣ في العام مقابل الدفاع عنه وحمايته ونصرته ،

(١) انظر مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٧٧.

(٢) سورة التوبة الآية : ٢٩

(٣) ذكر الشيخ الصابوني في تفسير آيات الأحكام مجلد ١ ص ٤١٧ آراء الفقهاء في مقدار الجزية على النحو التالي :

أ- يرى الإمام أبو حنيفة وأحمد رحمهما الله تعالى أن مقدارها على الموسر ثمانية وأربعون درهماً من الفضة ، وعلى المتوسط أربعة وعشرون درهماً ، وعلى الفقير القادر على العمل اثني عشر درهماً في السنة

ب- ويرى الإمام مالك أن مقدارها أربعة دنانير من الذهب ، أو أربعون درهماً من الفضة ، يستوي في ذلك الفقير والغني.

ج- ورأى الإمام الشافعي أن مقدارها دينار واحد على الغني والفقير.

ومقابل استمتاعه بالمرافق العامة للدولة التي يعيش في كنفها فليس الهدف من الجزية الجبائية وسلب الأموال ، وإنما الهدف الاطمئنان إلى رضى أهل الكتاب بالعيش في ظلال حكم الإسلام ، فإله تعالى لم يبعث المسلمين ليكونوا جباه وإنما بعثهم ليكونوا هداة.^١

ثانيا : أسرى الحرب والغنائم

أسرى الحرب قسمان :

١- النساء والأطفال : وهؤلاء يسترقون بمجرد السبي أو على حسب المصلحة التي يراها الإمام .

٢- الرجال المقاتلون : وهؤلاء يخير الإمام فيهم بين إطلاقهم بلا فداء أو مفاداتهم أو قتلهم أو استرقاقهم ، أو يجعلهم رهائن حرب لتبادل الأسرى بين المسلمين وأعدائهم كل ذلك على حسب المصلحة التي يراها إمام المسلمين ومن يقوم مقامه^٢

= وذكر بعض العلماء أن الرأي الراجح هو رأي الإمام مالك ، على كل فنرى أنها تقدر على حسب الظروف والأحوال من العسر واليسر وكذلك على حسب ظروف الزمان والمكان فقد تطبق في بلد بشكل وتطبق في بلد بشكل آخر ولذلك تبقى جميع الآراء معتبرة. والدرهم في اللغة اسم لما ضرب من الفضة على شمل معين ، وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة معلمة الوزن، ومقدار الدرهم عند الحنفية ٣,١٢٥ جراماً وعند الجمهور ٢,٩٧٥ جراماً.

وأصل الدرهم كلمة أعجمية عربت عن اليونانية وهي كلمة (دراهما) ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم. قال الله تعالى(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (سورة يوسف الآية : ٢٠)

أما الدينار : فهو اسم للقطعة من الذهب المضروبة المقدرة بالمتقال ، والدينار هو المتقال من الذهب وهو بالاتفاق ٤,٢٥ جراما. (انظر المكايل والموازين الشرعية - د/ علي جمعة ص ١٤ طبعة دار الرسالة بالقاهرة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م).

(١) تفسير آيات الأحكام للشيخ الصابوني مجلد ١ ص ٤١٨ بتصرف .

(٢) ينظر مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٧٢.

نظرة الإسلام إلى الرق

ومن المعلوم أن الإسلام حارب الرق ودعا إلى تحرير الرقاب وجعله في كثير من الكفارات مثل كفارة اليمين ، قال تعالى : ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١ وكذلك كفارة الظهار. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^٢ وحفظك كفارة قتل الخطأ ، وجعل من مصارف الزكاة مصرف تحرير الرقاب... الخ ، كذلك أمر الإسلام بتلبية طلب من يريد المكاتب من الأرقاء ومساعدتهم على تلبية المطلوب منهم وذلك في سبيل تحريرهم. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^٣

وكل ذلك حرصاً من الإسلام على أن يكون للإنسان كامل حريته حتى يعبد الله تعالى حق العبادة ولا يكون لأحد سلطان عليه إلا الله فتقام عليه الحجة ولا يكون له عذر يحول بينه وبين عبودية الله عز وجل ، ومن خلال ذلك بين بعض العلماء أن أسرى الحرب لا يسترقون وأن الإمام مخير فيهم بين المن والفداء^٤ واستدل بقوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى

(١) سورة المائدة الآية : ٨٩

(٢) سورة المجادلة الآية : ٣

(٣) سورة النور الآية : ٣٣

(٤) انظر تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري ص ٥٧ وما بعدها - الناشر المكتبة

الدولية - الرياض - السعودية - طبعة ١٣٧٨هـ = ١٩٦٧م - وكذلك المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْأَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^١

ولقد كان رسول الله ﷺ في كثير من الغزوات يمن على أسرى الحرب باليمن وإطلاق سراحهم وكذلك فعل الكثير من المسلمين من بعده.

وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد تم الاتفاق بين دول العالم أجمع على توقيع معاهدات تقضي بعدم استرقاق أسرى الحرب.

الغنائم وقسمتها :

ذكر القرآن الكريم تقسيم الغنائم وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْأَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٢ ١ .

واستحلال الغنائم من الخصائص التي اختص الله تبارك وتعالى بها رسولنا الكريم ﷺ وأمه فلم تحل لأحد من قبله ، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الناس كافة ، وختم بي النبيون»^٣

مفهوم الغنيمة والفِيء :

الغنيمة هي ما أخذ من الكفار من مال وعدة وعتاد وغيره بسبب الحرب والقتال.

أما الفِيء : فهو ما أخذ من الكفار بوجه حق بدون قتال.^٤

(١) سورة محمد الآية : ٤

(٢) سورة الأنفال : آية ٤١.

(٣) مختصر صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ص ٧٥.

(٤) انظر مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٧٦.

كيفية تقسيم الغنائم :

تقسم الغنائم على خمسة أقسام :

القسم الأول : ويقسم على خمسة أقسام :

١- سهم لله ورسوله : ويصرف في مصالح المسلمين العامة وفي إعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى وغيره من مصالح الدين وإقامة الشعائر وعمارة الكعبة وكسوتها ... الخ.

٢- سهم لذوي القربى : وهم قرابة الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب على القول الصحيح والراجح.

٣- سهم لليتامى : وهم الذين فقدوا آبائهم دون سن البلوغ.

٤- سهم للمساكين : وهم الفقراء والمحتاجين من المسلمين الذين لا تكفيهم مؤنتهم لسد حاجتهم الضرورية.

٥- سهم لابن السبيل : وهو المسافر الفقير الذي ترك بلده وانقطعت به السبيل فلا يجد مأوى ولا مقر ولا عمل فيتنقل من مكان لآخر بحثاً عن مأوى وما يسد جوعه وحياته ، وسمي بابن السبيل لأنه لما انقطع في سفره أصبح الطريق كأنه أب له^١.

القسم الثاني : يعطى للمجاهد الذي يقاتل بدون فرس ويسمى (الراجل) الذي يمشي ويجاهد على رجليه.

باقي الأقسام وهي الثالث والرابع والخامس : تعطي للمجاهد الذي يقاتل راكباً فرسه سهم له وسهمان لفرسه ، وذلك بسبب مؤنة الفرس ، ولأنه راكباً فرسه قد

(١) اراجع تفسير آيات الأحكام - للشيخ الصابوني المجلد الأول ص ٤٢٩ - ٤٣٢ - ومختصر

الفقه الإسلامي ص ٩٧٣.

يكون بلاؤه وعطاؤه في الجهاد كبير ، وهناك رأي آخر أن الفرس أي المجاهد على فرسه يعطى سهمان سهم له وسهم لفرسه والراجل يعطى سهم واحد^١.

وقد استدل أصحاب الرأي الأول بما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهمًا^٢.

أما الفيء فإنه يقسم القسم الأول من الغنيمة أي على خمسة أقسام سهم لله ولرسوله ﷺ ، وسهم لذوي القربى ، وسهم لابن السبيل. قال تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^٣

(١) ينظر تفسير آيات الأحكام للصابوني المجلد الأول ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) مختصر صحيح البخاري - كتاب الجهاد ص ٣٩٥ برقم ١١٨٢ .

(٣) سورة الحشر الآية : ٧ .

المطلب الخامس

مقومات النصر في الجهاد الإسلامي

إن الجهاد في الإسلام أمر عظيم فهو تضحية بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله تعالى والدفاع عن دينه وتأمين طرق الدعوة الإسلامية ، وليس لمطامع شخصية أو أهواء نفسية لذلك لا بد أن يحقق أهدافه المطلوبة وإلا كان إهدار لطاقت الأمة في غير ما يريده الله تعالى ويرجوه. فالجهاد الناجح هو الذي يحقق أسمى الغايات والأهداف بأقل التضحيات ، لذلك لا بد من الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله تعالى ، ومقومات النصر من منظور نظام الجهاد في الإسلام كثيرة ولكن سأحاول بإذن الله تعالى الوقوف على أهمها مستمداً العون من اله تعالى ... وأهم هذه المقومات ما يلي :

أولاً : إخلاص العمل والنية لله تعالى. فمدار قبول الأعمال في الإسلام هو النية فلا بد من صدق النية فإذا استشهد المجاهد في سبيل الله تعالى فاز بالجنة وإذا رجع فاز بالنصر والغنيمة ، ومما يدل على ضرورة إخلاص النية في الجهاد ما أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .^(١)

فالمسلم الصادق من الرعيل الأول هو الذي كان يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليه حرام ، والغلول من الغنيمة عليه حرام ، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام ، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء

(١) مختصر صحيح البخاري - كتاب الجهاد رقم ١١٦٠ ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمامة -

باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا رقم ١٩٠٤ .

لعهيدته وهداية الناس^١، روى شداد بن الهادي رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي ﷺ ثم قال : أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبي ﷺ شيئاً فقسم وقسم له فقال : ما هذا؟ فقال : قسمته لك ، فقال : ما على هذا تبعتك ، ولكنني اتبعتك على أن أرمي إلى ههنا - وأشار بيده إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة قال : إن تصدق الله يصدقك فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي ﷺ محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ : أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال صدق الله فصدقه ، ثم كفن في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مجاهداً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شهيد على ذلك^٢.

وإذا قرأنا واقع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكتهم في البلاد التي فتحوها رأينا مبلغ عزوفهم عن المطاعم والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية ، وهي إرشاد الخلق إلى الحق حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ورأيت مبلغ الخطأ في اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلبة على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق^٣.

ثانياً : وضوح المقاصد والغايات وتوعية المجاهد المسلم بأهمية الجهاد وفضله الذي لا يتناهى وأنه ذروة سنام الإسلام حتى تقبل عليه نفس المجاهد وهي مستعدة ومهيأة له ، والله سبحانه وتعالى قد كتب الجهاد وهو يعلم أن النفوس لا ترغب فيه وهو اعتراف بواقع النفس البشرية حتى لا يصاب بالضيق والكبت والإقدام على شيء لا ترغبه. قال تعالى : «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ»^٤. ثم عالج

(١) انظر مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ٢٨٧.

(٢) أخرجه النسائي.

(٣) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ص ٢٨٨ بتصرف يسير.

(٤) سورة البقرة الآية : ٢١٦

القرآن الكريم هذا الموقف وتلك الحال بقوله تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١.

نعم فالجهاد شيئاً قد لا ترغب فيه الكثير من النفوس لكن من وراءه خير كثير خيري الدنيا والآخرة كالنصر على الأعداء ونشر دين الله وإعلاء كلمته والدفاع عن الدين والوطن والعرض والمال ، وكذلك الشهادة في سبيل الله تعالى التي هي أسرع وأضمن وثيقة سفر إلى جنة عرضها السماوات والأرض إذا ما حسنت المقاصد وخلصت النيات ، ثم بينت الآية القرآنية أنه قد يحب الإنسان الحياة والبقاء في الدنيا وتعز عليه نفسه أن يضحي بها في ساحة الجهاد ولكن قد يكون في مثل تلك الرغبة يكمن الشر فقد يفتن الإنسان ويموت على المعاصي نعوذ بالله من ذلك أو يبغض ببعض الأمراض التي لا يدرك فيها موت ولا حياة نسأل الله السلامة والمعافاة ، اللهم آمين.

فلا بد من تربية المجاهد المسلم على تلك المعاني حتى يدخل إلى ميدان الجهاد بروح عالية تحلق في آفاق السماء تتمنى النصر والشهادة في سبيل الله تعالى وهذا من أعظم مقومات النصر في الجهاد الإسلامي.

ثالثاً تربية الجنود التربوية الحقيقية على الالتزام بطاعة الله تعالى وتقواه في السر والعلانية ، والمحافظة على أداء العبادات ، والبعد عن المعاصي والسيئات ، حتى تصفو النفوس وتكون أهلاً لنزول رحمت الله تعالى. قال تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ فإنه إذا اكتمل الإيمان الحقيقي في القلوب والنفوس فإن النصر لا محالة آتٍ بإذن الله تعالى.

رابعاً : إن قيام المسلم للجهاد بالحق ، وأن يكون قيامه بالله أي الاستعانة بالله وأن يكون لله تعالى أي خالصاً له سبحانه فمن فعل ذلك فلو كادته الخلائق كلها

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦

(٢) سورة الروم الآية ٤٧

لكفاه الله مؤنتها وإنما يؤتي العبد من تفريطه أو تقصيره في هذه الأمور الثلاثة أو في بعضها.

فمن قام في سبيل باطل لم ينصر وإن نصر فلا عاقبة له ، ومن قام في سبيل الحق ولكن لم يقم لله أي لم يكن خالصاً لله سبحانه ، وإنما قام لطلب الحمد والشكر من الناس فهذا لا ينصر ، لأن النصر لمن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وإن نصر فبحسب ما معه من الصبر والحق ، فالصبر منصور أبداً ، فإن كان الصابر محققاً كانت له العاقبة وإن كان مبطلاً لم تكن له عاقبة ^١.

خامساً : إذا أراد الإمام أو القائد غزوة بلدة في الشمال مثلاً أظهر أنه يريد الجنوب مثلاً ، فالحرب خدعة وفي هذا فائدتان :

الأولى : أن خسائر الأرواح والأموال تقل بين الطرفين فتحل الرحمة محل القسوة ، وهذا كله بالطبع بعد عرض الخيارات من الدخول في الإسلام أو الجزية أو القتال.

الثانية : توفير طاقة جيش المسلمين من رجال وعتاد لمعركة لا تجدي فيها الخديعة ^٢.

وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ غي غالب غزواته فقد أخرج البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ قلماً يريد غزوة يغزوها إلا وري بغيرها. متفق عليه ^٣.

سادساً : الأخذ بالأسباب وإعداد العدة وبذل كل ما في الوسع من طاقة. قال الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

(١) مختصر الفقه الإسلامي ص ٢٦٨ بتصرف.

(٢) انظر مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤٨ ، مسلم ٢٧٦٩

وَعَدُوَكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ^١

سابعاً : من مقومات النصر أيضاً أنه يجب على الإمام أو قائد الجيش أن يتفقد جيشه وعدته عند المسير إلى العدو ، ويمنع المخذل والمرجف ، وكل من لا يصلح للجهاد ، ويسير بالجيش برفق ، ويطلب لهم أحسن المواقع ، ويمنع الجنود من الفساد والمعاصي ، ويحثهم على طاعة الله تعالى ، ويرغبهم في الشهادة في سبيل الله تعالى ، ويأمرهم بالصبر والاحتساب ويقسم الجيش ويعين عليهم العرفاء والحراس ويبث العيون على العدو ويستطلع الاستخبارات ويشاور في أمر الجهاد ذوي الخبرة وأهل الدين.^٢ ويلزم على الجنود طاعة القائد والالتزام بجميع الأوامر وأن يعلم الجميع أنهم يسرون في قافلة واحدة وأن الهدف واحد وهو الدفاع عن دين الله تعالى وإعلاء كلمته وأن النصر مع الصبر والاحتساب لله تعالى في جميع الأحوال. قال تعالى : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^٣

ثامناً : عدم الفرار من ميدان القتال وزحف الأعداء بل يجب الصبر والثبات. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ ذَرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ﴾^٤.

فيحرم الفرار من الزحف إلا في حالتين :

١ - أن يكون الفار متحرفاً لقتال ، أي تغيير موضع القتال إلى مكان أحسن أو

خديعة العدو .

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) مختصر الفقه الإسلامي ص ٩٦٨ بتصرف.

(٣) سورة الحج الآية ٤٠.

(٤) سورة الأنفال الآية ١٥ ، ١٦.

٢- أن ينضم المجاهد إلى فئة أخرى من إخوانه المجاهدين فيتقوى بهم ويقويهم إذا كان وقوفه وحده لا يحقق فائدة.

تاسعا : الثبات والاستعانة بذكر الله تعالى وعدم التنازع والاختلاف حتى لا تذهب القوة والهيبة ويكون ذلك سبيلاً لدخول الشيطان وتمزيق الشمل وعاقبتها الخسارة في ميدان الجهاد. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^١

عاشراً : الصبر والثبات على تبعات النصر ، فإن الصبر على تبعات النصر اشد من السعي إليه ، فإنه عندما تلوح بؤادر النصر في الميدان قد ينشغل الجنود بالغانم فيأخذها الأعداء فرصة للكر مرة أخرى على المسلمين كما حدث في غزوة أحد والأحزاب ، أو يأتي الخلاف والتنازع على الغنائم وقسمتها كما حدث في غزوة بدر ، وقد يحدث الاختلاف والتنازع على من يكون هو القائد أو الرئيس كما حدث في كثير من بلاد المسلمين على مر التاريخ والأزمان وضاع بسبب ذلك دويلات مثل الأندلس وغيرها كما حدث في أفغانستان وغيرها من البلاد بسبب التنازع والاختلاف على السلطة والزعامة حتى دارت معارك طاحنة بين المسلمين بعضهم بعضاً ولذلك فإن الثبات على تكاليف النصر وتبعاته من أهم الأمور التي يجب أخذها دائماً في الاعتبار. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^٢.

فالسباق الطبيعي أن تثبت الأقدام يكون قبل النصر ولكن هنا ذكر تثبيت الأقدام بعد النصر وذلك لأهمية الثبات على النصر وعدم البطر والغرور والتقصير في تبعات النصر ومتطلباته.

(١) سورة الأنفال الآيتان : ٤٥ ، ٤٦

(٢) سورة محمد الآية : ٧

الخاتمة

وبعد فقد تناولت في هذا البحث أهم الأمور الأساسية المتعلقة بنظام الجهاد في الإسلام ، وفي الحقيقة أن نظام الجهاد في الإسلام تحدث فيه الكثير من الكتاب والباحثين وتناولته كتب التفسير والحديث والفقه .. الخ ولكني حاولت أن أعالج بعض القضايا العامة والأساسية في الموضوع وإبراز عظمة التشريع الإسلامي في حكمة مشروعية الجهاد في الإسلام وإزالة الشبهات التي تحوم حول نظام الجهاد في الإسلام وأن الإسلام دين يكره الناس على الدخول فيه ، وأنه انتشر بحد السيف.

وقد تبين جلياً من خلال عرض قضايا هذا البحث أن نظام الجهاد في الإسلام نظام فريد لا يمكن لأي نظام آخر أن يقترب ولو بنسب ضعيفة منه لأنه تنزل من عند الله تعالى العلي العظيم وأن المسلمين عندما تمسكوا بتعاليم هذا النظام ساد العدل في ربوع الدنيا كلها ، وعندما تركوه عمت الفوضى في الأرض وأصبحت البشرية أشبه ما تكون بحياة الغابات ، كل يبحث عن فريسة لينقض عليها ويأكلها بل صنع البشر بأيديهم دمار أنفسهم وأصبحت الأسلحة النووية في العالم نذير لدمار البشرية.

فهل يعود الناس إلى الحق ويتمسكوا بحبل الله المتين؟ نسأل الله تعالى ذلك . وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشاخي ولجميع المسلمين والمسلمات ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية للشيخ محمد الغزالي ، دار النشر والتوزيع الإسلامية ، الطبعة الأولى.
- ٣- الرحيق المختوم للمباركفوري ، دار النشر والتوزيع الإسلامية ، ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٤- القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ، مجمع البحوث الإسلامية ، مصر ، ط ١٤٠٤ - ١٩٨٣م.
- ٥- المفهوم الإسلامي للحرب والسلام - تفسير تحليلي لسورة الأنفال ، د/ محمد السيد جبريل ، ط ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
- ٦- المكايل والموازين الشرعية ، د/ علي جمعة ، دار الرسالة بالقاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
- ٧- تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ/ محمد الخضري ، الناشر المكتبة الدولية ، الرياض ، ط ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.
- ٨- تفسير آيات الأحكام للشيخ/ الصابوني ، ط ١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، دار القرآن الكريم ببيروت.
- ٩- جاهلية القرن العشرين للأستاذ/ محمد قطب ، دار الشروق.
- ١٠- حاجة العالم إلى النظم الإسلامية ، د/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل ، ط ١ - ١٤٠٢ - ١٩٨١م.
- ١١- سنن أبي داود - دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- ١٢- سنن الترمذي.
- ١٣- صحيح البخاري - فتح الباري - مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٤- سنن النسائي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ١٥- صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية ومكتباتها.

- ١٦- قصة الحضارة - ول ديورانت - ترجمة محمد بدران - الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطابع سجل العرب.
- ١٧- مجموعة رسائل الإمام حسن البنا - دار الشهاب.
- ١٨- مختصر الفقه الإسلامي للشيخ/ محمد بن إبراهيم التويجري - الناشر بيت الأفكار الدولية - الرياض - ط ٤ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٩- مختصر صحيح البخاري - المشهور بمختصر الزبيدي - ضبط وترقيم د/ مصطفى ديب البغا - اليمامة للطبع والنشر والتوزيع - الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٠- مختصر صحيح مسلم - تحقيق محمد ناصر الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢١- منهاج المسلم للشيخ/ أبو بكر الجزائري - مكتبة الكليات الأزهرية.

